

الشرق الأوسط • سوريا

حوالة المواطنة بين الواقع والخيال!

تاريخ النشر

7 أغسطس 2026

الكتاب

د. أسامة معمر

محرر أول



لستيقظتُ من نوم عميق لأجد نفسي مستلقياً بعكس اتجاه المسير؛ قهلي إلى اللُف ورُلي إلى الأسفل. أخذت أسلعل عن سبب هذه الوضعية الغريبة التي تحدث لي للمرة الأولى، ثم أيقنت أنها أثر ذلك الحلم العنوب الذي كنت لأمر قاصيه.

كنت أدلّل، في منفي، أن أجوب أ عن سؤال ملحّ تقضه هذه المرحلة:

لماذا لم نستطع أن نحقق مفهوم الحوالة في الوطن العربي، لا بوضماكيناً مستقلّاً تحيط به الحدود، بل بلمتباها عقداً اجتماعيًّا، ومكرة دلمعة، وبمصلحة قهي المجتمع نحو المستقبل؟ لقد، كما يي الفكر الأاردي ماك العثملة، أن المشكلة كمن في أننا بدأنا من القصة بلّاً من أن نبدأ من القصة؛ فبنينا مؤسست قبل أن نبي المواطن، وكتبنا هاتير قبل أن نسّخ القصة بين النسل والسلطة. وهكذا أصبح لدينا شكل الحوالة من حون رهها، وإطاهها من حون مضمونها الحقيقي؛ لم رهي وشعار وحدود، كن من حون إهسل يوي بالانقلم إلى الكيان الذي نعش فيه. غلب العقد الاجتماعي الحقيقي، وغلب معه صوت النسل. فلما انتدابك حقيقة قمخ الفرد شعوراً بأنه شريك في صنع القرار وبنه الوطن، وتعزز لديه الإهسل بالمسؤولية والانقلم. ولعقود طويلة، لم كن شكك في دولنا، بل متفّين للأوامر، نضع لأيديولوجيت متباينة تشك في غاية ولحة: تقويع المجتمع وتحويل أمراله إلى قطع يسير خف من يمكون بعة اقليلة.

قد خلطنا بين الحوالة والظلم الدكم؛ لأنّ الظلم سخّ مؤسست الحوالة، بما فيها المؤسسات الأمنية والعسكرية، لحماية مصالحه ومصالح الوالين له والهمع عها بكل شراسة وهوية. وفي ظل هذا الخط غلب القانون، وتحوت الاستثناءات إلى عوسائد، وأصبح كثير من لأدب القوود فوق

السلالة.

وهكذا ضلت الحقوق، وهضر الإنسان الضعيف والبسيط والفقير آخر دهر يهيئه من ديتان المجتمع،
مقلبي الطريق، ولجذب السلطة والغوخذ. وكان من نتيجة ذلك أن ماتت فكرة الحولة ببعضها منظومة
للعمل، وتشرفت الهوية الوطنية، وتحوّلت الانتقولات العائلية والعشائرية والطائفية
والمنطقية إلى الملأ الأخير للإنسان العربي.

ودين بدأنا نبحث عن الهوية الحقيقية للحولة، لم نستطع أن نهم خياراً لنا: هل نريد حولة موطنية،
لم حولة عشيرة، لم حولة طائفة، لم حولة الحزب الواحد، لم حولة تعمل رسالة أيديولوجية تتجاوز

مواطنيها واحتياجاتهم؟

تحوّلت كل حولة عربية إلى حالة منفصلة، وأدين أمانقة لما حولها. ولجبت الحولة مجموعة من
المؤسسات التي تؤدي بض الوظائف، كما لم تتحول إلى رافعة حقيقية لمشروع حضاري يخض بالمجتمع

ويمنحه غاية مشتركة.

كما أفرقنا الخوف من الحرية في متهك كبر ولحق. فالحولة الحديثة تقوم على ف السؤال وف
السلالة، كننا، حولة مجتمع، ظللنا نحش القد وكشف العيب وموطن الصف، بل ونش
الختف أئس؛ مع أن الاختلاف، دين تمويه الموطنية ويظهه القانون، يصبح مصدر قوة لأي بلد
متضرر يقوم على الشاكية والعدالة المجتمعية.

وكان من أخطر النتائج غياب الخيال السياسي؛ لأن الحولة، في معناها العميق، مشروع خيال وحلم
جملي. غير أن الاشتغال بلقمة العيش والصرع التي لا تنتهي لطفاً حق الحلم الكمن في داخلنا،
فتحوّلت الحولة إلى مجرد هبة يَظنر منها تقديم الخدمات، بل أن تكون فكرة كبرى تدفن

مستقبل أبنائها.

لا يبدأ الحل بلقمة صون جديدة إلى هساتير قديمة، ولا بتغيير أسماء المؤسسات والشعارات، بل
بلقمة كتابة العقد الاجتماعي على أس حقيقية: موطن ولمٍ وحر، وحولة عادلة، وقانون يحيي
الجميع على قم المساواة، وهوية وطنية واضحة لا تخجل من تنوعها، بل تتألف به وتمويه.
نحتاج إلى حولة تمنح الحقوق قبل أن طالب بالواجب، وتمنح مواطنيها شعوراً حقيقياً بالموطنية
والكرامة والاشركة؛ حولة تصبح مرآة لأحلامهم مجتمعة، ومشروع حضاري أ ينتقون إليه، ويحسون
عليه، ويدفعون عنه؛ لأنهم يرون في صوته صوتهم، وفي كرامته كرامتهم، وفي مستقبله مستقبلهم.

لظالمهم.

الرابط اليهسي للعقل



SCAN TO READ

قرأ العقل على الموقع

Read Article on Website

syriamorse.com/?p=10077